وحجة الاسلام الغزالي ومن المتفلسفة ابن رشد والفارابي ومن الاطباء ابن
سينا وابن ابي اصيبعة والانطاكي ومن الجغرافيين ياقوت والادريسي وابن حوقل
ومن الشعراء الطائي والبحتري والمتنبي والمعري والشريف الرضي ومن الكتاب
عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ ومن الادباء ابو الفرج الاصبهاني
والقالي وابن عبد ربه والمبرد والثعالبي ومن اللغويين الخليل ابن احمد والجوهري
وابن منظور والفيروزابادي وابن سيده ومن النحاة سيبويه وابن مالك وابن
هشام ومن الرواة الاصمعي وحماد وغيرهم من حملة العلم فاحياهم رحمهم الله وكتبهم
وما نقل عنهم ضمن دائرة اختصاصهم خالدة على مر الايام وكر الاعصار اما ما
خرج بعضهم به عن دائرة الاختصاص فقد مات مع موت صاحبه وان بقي فلا
يعتد به كالامام السيوطي فانه رحمه الله حاول ممارسة فنون كثيرة والف فيها
ولكنه لم يشتهر الا بما تخصص به فهو في مزهر لغته ابر منه في رحمة طبه والشيخ
محي الدين في فتوحاته اعظم منه في محاضراته والمعري في لزومياته اجل منه في
رسائله والنابلسي في شرحه على الطريقة المحمدية اقدر منه في بديعيته
وابن عابدين في حاشيته اعلى منه في نظمه والحمزاوي في فتاواه ابرع منه في
ديوان شعره وقس على ذلك .

هذا ما حضرناه الآن في هذا الموضوع ولعلنا نعود اليه متوسعين وعلى الله
قصد السبيل .

سفر ادب للصلاح الصفدي

نشرت على جريدة سورية الرسمية ١٥ ذي الحجة ٣٤٥

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اعلام القرن الثامن وممن رزق التجويد في
مصنفاته على كثرتها ولد في صفد سنة ٦٩٦ ومات بالطاعون سنة ٧٦٤ وكان
اماماً بالنثر والنظم والتاريخ وتولى عدة مناصب خطيرة ككتابة السر بحلب وكتابة
الدست ووكالة بيت المال بدمشق وله تصانيف كثيرة تربو على السمائة مجلد (١) اهمها
الوافي بالوفيات يدخل في بضع مجلدات كبرى تحتوي على زهاء عشرة آلاف ترجمة من
اول الاسلام الى عهد المؤلف (٢) لم يطبع حتى اليوم ومما طبع من آثاره جنان
الجناس ونكت الهميان في نكت العميان الذي كان به نسيج وحده .

اما الكتاب الذي نتكلم عليه فهو جزء من اجزاء كتب بقلم محمد بن احمد سكيكر الدمشقي
خطيب العادلية بحلب سنة ٩٧٦ بخط جلي واضح ذكر به المؤلف المكاتبات التي جرت
بينه وبين ادباء عصره نثراً ونظماً مرتباً اسمائهم على حروف المعجم مع ذكر يسير من
تراجمهم وقد سقطت من اوله ووسطه عدة اوراق ذهب معها اسم الكتاب وكثير من
حلقات سلسلة فوائده وما اخال اسمه الا (اعيان العصر) الذي ورد ذكره في طبقات
الشافعية الكبرى عند ترجمة الصلاح الصفدي اما عدة اوراقه على ما به من النقص
ف (٩٢) ورقة طول كل منها (٢٠) سنتيمتراً وعرضها (١٥) سنتيمتراً وعدد سطورها
(٢٧) سطراً وقد ورد فيما بقي من المقدمة قوله : (وقد رتبته على حروف المعجم فاذكر
في حرف اسم من كتب الي وكتبت اليه وجلا ابكار الفكر علي وجلوت عليه) الخ وقد
استوعب هذا الجزء على خرمه من اسماء من كاتبهم الصلاح (٢٢) اسماً وفيهم
المحدث والفقيه والاديب والامير والكاتب والشاعر والطبيب كشهاب الدين السبكي
والبدر الغزي وابن سكيكة والامير الطنبغا وابن القيسراني وابن الخياط واحمد بن يوسف

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ٩٤ (٢) مجلة المقتبس ج ١٠ ص ٧٧٢

الحبيب وقد انتزى هذا الجزء بحرف الحاء من اسماء الرجال مما دل على ان
له صلة.
والدليل على ان صاحبه الصلاح الصفدى قوله عند ذكر شهاب الدين احمد البغدادى
المعروف بابن المرحم: «كتب تقريظاً على كتابي جنات الجناس» وجنان الجناس
لا مراء في نسبته للصلاح وكثير من مثل هذه الادلة يطول ذكرها. ابا لحرز ما
جاء فيه من المكاتبات فيكاد لا يخلو سطر من اكثرها من السجع وتكلف الجناس و
والمطابقة والمقابلة من انواع المحسنات اللفظية والاستشهادات الشعرية والاكثار
من الفاظ التعظيم والتبجيل للمخاطب كمولانا وسيدنا وعمدة الانام وسراج الملة.
وكذلك الامعان في الفاظ التلطف والمجاملة من المخاطب كيقبل الارض وينهى. والعبد
والمملوك وغير ما ذكر من تعاطى المحال. جرياً على طريقة كتاب ذلك العصر وهاك
انموذجاً منها ما كتبه صاحب الكتاب من جواب الى شهاب الدين احمد ابن النقيب :
«فاين نقص ابن زيدون في الادب من كماله واخلال ابن ابى الخصال عن خلاله
واين عطل صاحب القلائد من عقوده وحوالة ابن الصيرفي في نقوده واين قصور
الفاضل عن تفننه ووهن العماد من تمكنه هيهات ما لابن شهيد حلاوته ولا
لصاحب المرقص والمطرب لطلاوته فلو رآه ابن بسام عبس وقطب وجلس بين
يديه وتأدب ولو عاينه البديع لف ما نشر من انشائه وزوى قلم الكتابة بداية
وانسل بدائعه» ومثل ذلك او دونه من الانشاء فهو كما ترى جيد الرصف
متين السبك تام الصنعة دقيق المعنى مستوفى براعة المطلع وحسن الفواصل
لكن السلوك على نهجه مضلة اذا ما كل كاتب له سليقة الصلاح والمبدع
الواسع وما ورد به من لطيف الاشعار قول صاحبه على طريقة ابن رشيق :

ولقد ذكرتكم بحرب ينثنى
عن بأسها الليث الهزبر الاغلب
والصافنات بركضها قد انشأت
ليلا وكل سنا سنان كوكب
والبيض تنثر كلما نظم القنا
والنبل يشكل والعجاج يترب
وحشاشة الابطال قد خفت ظما
ودم الفوارس هاطل صيب
والنفس تنهب بالفوارس والقنا
وانا بذكركم اسيل واطرب

ومنها قول ابى بكر الصوفي المعروف بابن العجمى من قصيدة بعث بها للصلاح جاء بها في وصف الخمر:

اذكى المزاج لهيبها فعجبت من
ماء به في الكأس شب سعير
لولم يجد نسج الحباب شباكها
كانت لفرط اللطف ثم تطير
قد لقبوها بالعجوز ذوو الحجا
لما علاها بالمزاج قتير

ومنها قول احمد البغدادى المعروف بالمرحم من قصيدة يقرظ بها كتاب جنان الجناس للصلاح الذى سبق الالماع اليه اولها:

زينة المرء بيان المنطق
مقرناً منه بحسن الخلق

ومنها في وصف احرف الكتاب وطرق اسطره:

إكبا اسودها ابيضها
كركوب الليل منه الشفق
نطقت وهي جماد كلها
وعجيب نطق مدلم ينطق
كل معنى دق فيها واختفى
عن سنا الفكر ونور الحدق
كمنت فطنته فيها كما
كمنت اشخاصنا في العلق
ومنها: زدهم سحرا ولا ترث لهم
فهو ذنب اثمه في عنقي

ومنها ما كتبه احمد بن محمد الصعيدي لصاحب الكتاب في رقة الحال والدعابة من قصيدة:

جسمي ورق وابتل عا
ك ببعض فراك تجدده
فسم الصبح بشرحه
وجليد الارض يقدده
وفتاشي كان له صلف
ببخور العود اعوده
فانت في الليل له الامطا
ر فاخلق منه تجدده
فتقط الدلف يصغره
ودخان النار يسوده

وفي الكتاب عدا ذلك حوادث تاريخية جديرة بالاثبات كالطاعون الذي انتشر

في مصر والشام سنة ٧٤٩ وذهب بالالوف المؤلفة من النفوس وقد كتب بعضهم من مصر يصف للصلاح بقوله: "وطاعون الجارف بالنسبة اليه كالبرق الخاطف وطاعون عمواس كالقطرة منه في القياس وطاعون الاشراف خاص ببعض الاصناف وطاعون الفتيات لغير الابكار لم يأت" الخ فاجابه الصلاح وقد ورد بكتابه عن الطاعون في الانحاء الشامية ما ملخصه بانه تسرب الى الشام من غزة ثم الى قطيا وبيروت وصيدا ودمشق قال وكان يقتل بالرائحة وعلامته ظهور حبة او بثرة خلف الاذن او كبة تخرج تحت الابط او بجبارة تطلع في الاربية او البصاق دما ثم استطرد بالمناسبة الى ذكر ما نقله سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وهو ما وقع سنة ٤٤٩ من الوباء العظيم في بخارى ثم تعدى الى اذربيجان ثم الى الاهواز والبصرة وواسط وتلك الاعمال قال ولا يعلم من مات بارض المشرق بل قيل ان سمرقند من عشرة شوال الى سلخ ذي القعدة احصى من خرج من ابوابها من الجنائز فكان مائتي الف وستة وثلاثين الفا. ثم قال (اي الصلاح) وغالب هذه الاحوال شاهدنا وقوعها وكان المملوك يظن ان لا نظير لهذا الطاعون حتى وقف على هذا الخبر فوجده مطابقا في اكثر احواله اللهم الا ان هذا اكثر عموما لانه قد طبق الارض وما خلت منه بلدة ولا قرية الا ان اصحاب العمود لم يصبهم من هذا الطاعون شيء كالعرب والتركمان والاكراد وهم الذين يرحلون من ارض وينزلون في غيرها وهذا زاد على ما تقدمه من الطواعين لانه كان في القطا وبعض الطيور وبعض الجمال وغالب الاوابد من حيوانات البرية فان جماعة اخبروا انهم رأوا شيئا كثيرا من الايايل والحمر الوحشية مطروحة في البرية وتحت اباطها خراج.

وغير ما ذكرت كثير من الرسائل والاشعار والالغاز والمسائل والنوادر والقصص الى الاطلاع عن تراجم الاعيان وسندة العلم وحملة البيان وامراء السيف والقلم ما يفكه به العالم ويستفيد منه الطالب وتنبسط له نفس الاديب فيمضي الزمان الضنين يكون بقيته برهة الباحثين من رجال العلم والادب شكر الله سعيهم.

(دمشق)